Al-Quds in Arabic Literature in the Twentieth Century[1]

Mohammed Mfarrej
Middle East Universty of Jordan, Jordan
mmf.1962@gmail.com
Arrival date: 2017-12-04 Acceptance date: 2018-02-29

Abstract

By tracing Al-Quds' litetature in the twentieth century، some conclusions can be made. The poetry about Jerusalem included three domains، namely religious، patriotic and social poetry. It is also shown that religious poetry focuses on showing the importance of Al-Quds and its distinguished holy places. A lot of this poetry was written on famous religious and historical occasions، such as Israa' and Mirac، the prophet's birth and emigration. On the other hand، the patriotic poems were written about the Arab conflict with the enemy. It described the Palestinian's consecutive revolutions، especially the period prior to 1948 Palestinian Nakba. After Al Nakba، however، poems kept focusing on liberating the holy places and rescuing them from occupation via the enthusiasm and the empathy of poets toward Jerusalem، which was occupied by the enemy. Al-Quds was clearly present in the poetry، stories and novels، while it was not as such in plays. Many writers and poets were keen on highlighting reality in their literature، which was related to Al-Quds. They pictured reality photographically when they talked about the event that happened in Al-Quds in the twentieth century; they described the battles with the Jews during and after Nakba; they mentioned some of the courageous actions of the Palestinians against their enemy. Recording reality was reflected in the image of Al-Quds in this literature. So، Al-Quds appeared as a stable place. Some writers and poets were able to draw a clear picture of the main features of Al-Quds in their literature. Therefore، it appeared as a bright and shiny place، which is full of life and energy. Some of those stories were those of Najati Sidqi، Ameen Faris Melhasi، Khalil Al Sawahri and Ibrahim Al Daqqaq. Al-Quds in "Sudasiyat Al-Ayyam Al-Sittah" for Emile Habibi، became an important human cause. Across Palestine، Al-Quds was in the heart of everybody. And it did not lose its uniqueness in the distinguished novels. By studying Al-Quds literature during the 20th century، we can conclude that the literature was in two levels: the first level includes the incidental rejection to the reaction towards the events related to Al-Quds. The literature of this level was weak because it did not have the power to revive the heritage and the sufferings of the moment. These creative works were weak because they have powerful and meaningful vocabulary; they were imitating the Abbasi poets or modern poets. Al-Quds poet were affected. The second level represents those poets who had a more comprehensive view about their stance against the occupier، and they were those who had a reaction، and sacrificed their literature for the sake of giving Al-Quds a very special taste and value.

Keywords: Al-Quds, Arabic Literature, Twentieth Century.

[1] This article is an enlarged version of the text presented in the "Jerusalem Symposium in Modern World Literature" held at the University of Jordan from 21-23 March 2017.

القدس في الأدب العربي الحديث في الرواية والقصص والمسرح والشعر في القرن العشرين

الدكتور محمد محمود أحمد بني مفرج
أستاذ مساعد في كلية العلوم التربوية جامعة الشرق الأوسط – الأردن

mmf.1962@yahoo.com

ملخص

من خلال تتبعي لأدب القدس في القرن العشرين، وليس من خلال النماذج التي توقفت عندها في هذا البحث، يتبين لي:

أن الشعر الذي تناول القدس قد انتظمته محاور ثلاثة: الشعر الديني،والشعر الوطني والقومي، والشعر الاجتماعي، وقد تبين لنا أن قصائد الشعر الديني ركز- طوال هذه الفترة- على إظهار مكانة القدس الدينية، وإبراز مقدساتها، في إطار من القداسة والتهيب والخشوع، وقد بدا لنا أن الكثير من هذا الشعر نظم في مناسبات دينية وتاريخية مشهورة كذكرى الإسراء والمعراج، والمولد النبوي الشريف، والهجرة النبوية الشريفة .

أما قصائد الشعر الوطني، فقد عبرت عن الصراع مع الأعداء، ووقفت عند ثورات الشعب الفلسطيني المتعاقبة، وخاصة المرحلة التي سبقت النكبة عام (1984) م، أما بعد النكبة فقد ظلت القصائد تلح على ضرورة تحرير المقدسات وإنقاذها من براثن الاحتلال، في إطار من الانفعال والحماسة، والتعبير عما يجيش في نفوس الشعراء من مشاعر تجاه المكان "القدس" الذي اغتاله الأعداء .

وكان للقدس حضور بارز في الشعر والقصص والرواية، بينما في المسرحيات لم يكن لها هذا الحضور، وقد ركزت الأعمال الإبداعية على ما تعانيه القدس من احتلال بغيض، ورسم الشعراء والأدباء صورة حزينة للقدس في أعمالهم، فكانت أقرب إلى النواح والبكاء والعويل، في كثير من الأحيان، ووقفت بعض الأعمال الإبداعية عند هذا الحد دون أن تتجاوزه، فالقدس كانت ظرفًا جغرافيًا تجري فيها الأحداث، دون أن يكون لها دور بارز في بناء هذه الأحداث والتفاعل معها، وهذا يظهر لنا بعد المسافة بين هؤلاء الأدباء والقدس، فلو وضعنا مكان القدس اسما اخر، لما شعرنا بخلل في البناء الفني لتلك الأعمال، وهذا مؤشر على ضعف الإبداع نفسه من جهة أخرى كما سيتضح لاحقًا.

وقد حرص كثير من الشعراء والأدباء على إبراز الواقع كما في أعمالهم الأدبية المتصلة بالقدس، فاقتربوا من تصوير الواقع تصويرًا "فوتوغرافيا" حين تناولوا الأحداث التي جرت في القدس في القرن العشرين، فيقفون عند المعارك التي جرت مع اليهود الصهاينة إبان النكبة وبعدها، أو يشيرون إلى

بعض العمليات الجريئة التي يقوم بها أهل فلسطين ضد أعدائهم، وقد انعكس "تسجيل الواقع" على صورة القدس في هذا الأدب، فظهرت القدس مكانا ساكنًا، لا حركة فيه .

وقد تمكن بعض الشعراء والأدباء من رسم صورة واضحة المعالم للقدس في أدبهم، فبدت القدس مكانًا متوهجًا مشتعلًا، تشيع في جنباته الحياة والحركة .

أما القصص التي تمثل ذلك فأهمها قصص نجاتي صدقي، وأمين فارس ملحس، وخليل السواحري، وإبراهيم الدقاق .

وقد غدت القدس عند إميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة) قضية مصيرية من قضايا الإنسان وقد توحدت مع كل مكان في فلسطين، هذا ولم تفقد القدس خصوصيتها في العمل الروائي المتفوق .

وقد اتضح لنا من دراسة أدب القدس في القرن العشرين أن هذا الأدب كان في مستويين:

المستوى الأول: يتمثل في الرفض العفوي الصادر عن موقف رد الفعل تجاه الأحداث المتعلقة بالقدس، وقد بدا أدب هذا المستوى ضعيفًا ليس فيه قدرة على بعث حرارة التراث ومعاناة الحداثة وكان نسيج هذه الأعمال الإبداعية ضعيفًا أيضاً وإن كانت ألفاظه قوية متينة، فهي تقليد للشعراء العباسيين أو الشعراء الحدثيين، فظل أصحابها واقعين في أثار أولئك الشعراء دون أن يفلتوا منهم وأنما يجرون ورائهم ولا يلحقون بهم .

اما المستوى الثاني: كان لأصحاب هذا الرأي نظرة أشمل عن موقفهم في انتمائهم ضد المحتل بكل أبعاده وهم أصحاب موقف رد الفعل الذين ضحوا بأدبهم الذي منح القدس طعماً خاصاً وقيمة خاصةً .

وهذا يوضح دور المبدع في الحياة بأنه يعرف ما يعرفه المؤرخ والإعلامي والإخباري والسياسي والواعظ ولكنه ليس مؤرخًا ولا إعلاميًا ولا إخباريًا ولا سياسيًا ولا واعظًا.

ومن ذلك نستخلص أن عجز الواقع العربي دفع الأدباء إلى استحضار شخصيات تاريخية لها ارتباط قوي بالقدس مثل عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي في صورة انفعالية وصفية مجردة فهم يبصرون الواقع الحزين الذي تحياه القدس لذلك ينبشون في تاريخ القدس الماضي .

يلاحظ إلى حد ما ضعف حضور القدس في الشعر في القرن العشرين وذلك لأن القدس اندمجت في فلسطين في أغلب الأعمال الأدبية ونجد أن أغلب الأعمال الشعرية متجهة إلى التعبير عما تعانيه فلسطين فأصبح الشعراء لا يلتفتون إلى ما تعانيه القدس فحسب ولكن يعبرون عن معاناة فلسطين وحدها وإبراز دور أهلها في التصدي للأعداء.

إلى الذين تفطرت دماؤهم على ارض الإسراء والمعراج ..

إلى الخالدين من الشهداء الذين فدوا بأرواحهم أرضنا الحبيبة فلسطين ..

إلى كل المناضلين والمقاومين الذين يعيدون كتابة الأدب والتاريخ بأحرف من دماء ..

إلى شبابنا وبناتنا جيل الغد المشرق، لنتعلم كيف تصنع الأمجاد ..

لهم ولكم جميعاً مني التحية .

إن فلسطين توأم الأردن، والقدس توأم عمان فالقدس في ضميرنا دوماً، هي الرمز الخالد وقدس الأقداس وزهرة المدائن، وتستحق أن تكون العاصمة الأبدية للثقافة والأدب العالمي الحديث .

إن فضل القدس ثابت تاريخياً، وفي نصوص القرآن والسنة، ولاشك أن هذا الفضل يعود لأحقاب ضاربة في القدم .

فيها نشأ ومات كثير من الأنبياء والرسل والشعراء والكتاب والأدباء .

وكانت مهبطاً لكثير من الرسالات والوحي، وبها جرت أعظم أحداث التاريخ القديم والحديث .

كانت القدس معهداً علمياً كبيراً، أمّه ودرّس، ودرس فيه عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم لا من القدس فحسب بل من جميع البلدان الإسلامية، وكان من أوائلهم الصحابيان الجليليان: (عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس) وكبار العلماء كالإمام الأوزاعي، ومحمد بن إدريس الشافعي، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، وآخرون .

القدس ليست مدينة، القدس تاريخ وحضارة وهوية، وهي رسالة وفكر، أكثر من كونها حيزا جغرافيا يضم الأماكن والسكان. ولا يمكن التعاطي مع مدينة القدس إلا من خلال هذه المعاني الرمزية. القدس تجسد فكرة بوابة الأرض إلى السماء، والبوابة تعني الانفتاح، وكذلك المرور او العبور، والحركة والتبادل والأخذ والعطاء، وربط الزمان بالأزمان،والمكان بالأماكن، والإنسان بالله، والقيم بخالق هذه القيم، والحرية المطلقة التي تسمح لكل إنسان بالانفتاح على خالقه على مر الأزمان والأماكن انطلاقا من القدس أو غيرها .

وتتكون القدس المعروفة اليوم من البلدة القديمة ضمن الأسوار التاريخية التي بناها السلطان سليمان القانوني العثماني سنة 1535م، وقسمين آخرين خارج أسوار البلدة القديمة، أحدهما في الجانب الغربي والثاني في الجانب الشرقي، وقد فصلا عن بعضهما بعد حرب 1948م، ضُما ثانية بعد حرب 1967م

وقد بدأت هذا البحث بعد أن ألقيت على مدى أكثر من سنتين متواصلتين محاضرات عن القدس تاريخًا وحضارةً في جامعة الزرقاء، حتى وجدت الحاجة لأكون مشاركًا في مؤتمركم هذا .

من أجل أن تعم الفائدة منه جميع الناس ولأن مؤتمركم أوسع انتشاراً وأعمق آثرا و أكثر توثيقًا للفائدة وتوطئة للبحث .

فالقدس حظيت باهتمام العلماء والأدباء والشعراء والباحثين على مر التاريخ بفضائل القدس، تلك المدينة المقدسة التي كان يؤمها العلماء من كل مكان، للإقامة فيها، والتدريس في المسجد الأقصى المبارك، الذي غدا أشبه ما يكون بجامعة من الجامعات العالمية .

ومن الدراسات التي اهتمت لذلك: كتاب فضائل القدس – لابن الجوزي . ومخطوطات فضائل بيت المقدس– للدكتور

كامل العسلي، وفضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة دراسة تحليلية ونصوص مختارة ومحققة للدكتور محمود إبراهيم،والموسوعة الفلسطينية برئاسة الشيخ عبدالوهاب احمد عبدالواسع ورئيس التحرير الدكتور أنيس صايغ وعضوية الدكتور عمر مصالحة والدكتور فائق أمين مخلص والدكتور ناصر الدين الأسعد وآخرون،كما أصدر معالي المهندس الأستاذ الدكتور رائف نجم كتاب بعنوان: الحفريات الأثرية في القدس وقد اخترت من هذا الكتاب الأتي:

1- حفريات أثرية حول القدس ومن هذه المواقع:

أ- ألواح تل العمارنة قرب نهر النيل .

ب- خريطة مأدبا القسفسائية.

ج – مخطوطات قمران قرب البحر الميت .

د – حفريات عراق الأمير حيث الأحرف الآرامية المحفورة على المغارات السفلية .

2- مصادر تاريخ العمارة الإسلامية في القدس:

يقول (مايكل هملتون بورجوين) أنه لم يكن بالمستطاع معرفة عدد كبير من المعالم الإسلامية في المدينة المقدسة بدون كتاب مجيد الدين العليمي المقدسي . الذي كان قاضياً في مدينة الرملة سنة 1484م ولغاية 1495م وبعدها مباشرة بدأ في كتابه عن مدينة القدس .

والمصدر الثاني هو الأرشيف العثماني الذي وثق الأبنية الوقفية في القدس خلال الحكم العثماني، وأما المصدر الثالث فهو الحفريات الأثرية التي أكتشفت خلالها عدد كبير من القصور والأبنية .

وقد كان أول بناء إسلامي في القدس المسجد الأقصى الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 15 هـ (636م) عندما دخل القدس فاتحاً ووقع العهد العمرية مع صفرونيوس الدمشقي بطريارك البيزنطيين، الذي كان يتسع ذلك المسجد إلى 3000 مصلٍ، ولكن هدمته الزلازل، وفي زمن عبد الملك بن مروان بُني في نفس الموقع المسجد الأقصى القائم حاليًا.

أما قبة الصخرة المشرقة التي بناها الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 72هـ(691م) ومازالت إلى اليوم تشهد على الفن الإسلامي البديع والزخرفة الجميلة، وآخر ترميم لها كان الأعمار الهاشمي الذي انتهى عام 1994م .

وهناك مبانٍ ومعالمَ وعدة قصور ومدارس أُنشئت في القدس زمن الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبين والمماليك، ومازالت هذه المباني قائمة إلى اليوم بسبب الترميم المتواصل، ومن بين هذه المدارس التي برز دورها في الحركة الفكرية وخَرّجَت الأدباء والشعراء والكتاب والمثقفين كالمدرسة الجاولية والكريمية والجالقية والتنكزية والأمينية والسلامية والملكية والفارسية والخاتونية والأرغونية والؤلؤية والعثمانية ومدارس أخرى يزيد عددها 88 مدرسة في عصر الأيوبيين والمماليك وغيرهم .

وهناك دراسات تناولت أدب القدس في القديم، والحديث، كالشعر في الحروب الصليبية، وتاريخ القدس ومن هذه الدراسات:

- وثائق الهيئة الإسلامية العليا – للشيخ سعد الدين العلي عام 1984 م .

- كنوز القدس – لمعالي المهندس الأستاذ الدكتور رائف نجم وآخرون .
- القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال والتهويد،للأستاذ سمير جريس .
- الموسوعة الفلسطينية برئاسة الشيخ عبدالوهاب احمد عبدالواسع ورئيس التحرير الدكتور انيس صايغ وعضوية الدكتور عمر مصالحة والدكتور فائق أمين مخلص والدكتور ناصر الدين الأسعد وآخرون.

وهناك عدد من المجلات والصحف تحمل اسم القدس، ومن هذه المجلات والصحف:

1- مجلة ديوان القدس – محلية غير دورية، ثقافية أدبية متنوعة، صدرت في القاهرة عام 1986
2- مجلة القدس – فكرية عربية جامعة – صدرت في بيروت عام 1979 م ثم في القاهرة 1983 م ثم في عمان 1985 م .
3- اللجنة الملكية لشؤون القدس – نشرة دورية ثقافية صدرت في عمان عام 1972 م .

وقد أقيم بعض المعارض وعرض المسرحيات التي كانت تتناول القدس وأهميتها، ومسرحية الكاتب المصري (يسري الجندي) (واقدساه) التي عرضت في عدد من عواصم الدول العربية ومنها عمان 1988 م .

أما الاحتفال بأدب القدس في العصر القديم والحديث كانت الدراسات التي اعتنت بذلك نادرة .

القدس في الأدب العالمي الحديث في أربعة محاور وهي كالآتي:

1- المحور الأول– القدس في الرواية .
2- المحور الثاني – القدس في القصص .
3- المحور الثالث – القدس في المسرح .
4- المحور الرابع – القدس في الشعر .

واتبعت هذه المحاور بنظرة تقويمية في أدب القدس في العصر الحديث، عرضت فيها جملة من الآراء ووجهات النظر التي بدت لي من خلال تتبع أدب القدس في فلسطين وقد اتضح لي الآتي:

- المحور الأول: الراوي، وضم ثماني وعشرين (28) رواية لعشرين (20) كاتباً .
- المحور الثاني: القصص، وقد ضم خمساً وأربعين (45) مجموعة قصصية لستة وثلاثين (36) كاتباً، إضافة إلى ثلاث مختارات قصصية ضمت أربع (4) قصص تتصل بالقدس، كما وجدت عدد كبير من القصص المتصلة بالقدس فاق المئة قصة (100) قصة تقريباً .
- المحور الثالث: المسرحية، وضم أربعًا وعشرين (24) مسرحية لأكثر من عشرين (20) كاتبًا .
- المحور الرابع: الشعر، وقد ضم أكثر من مئتين وسبعون ديوانًا (270) ديواناً ومجموعة شعرية تفوق المئة والسبعون شاعراً (170)، وبلغ مجموعة هذه القصائد ذات الصلة بالقدس في الدواوين تسعمئة وسبع وثلاثين (937) قصيدة، إضافةإلى مئتين وأربع وعشرين (224) قصيدة . نُشرت في عدد من الصحف والمجلات العربية والعالمية، وهذا يعني أن عدد القصائد التي تتصل بالقدس قد بلغ عددًا كبيراً جداً .

المحور الأول: القدس في الرواية

في حديثنا عن القدس في الرواية سنقف عند ثلاث روايات، لنرى كيف عرضت تلك الروايات صورة القدس، أو كيف كانت صلة القدس بها، وهذه الروايات هي:

1- مذكرات دجاجة – للدكتور إسحق موسى الحسيني .
2- صيادون في شارع ضيق – لجبرا إبراهيم جبرا .
3- سداسية الأيام الستة –لإميل حبيبي .

1- مذكرات دجاجة – للدكتور اسحق موسى الحسيني:

في البداية أود أن أُشير إلى أن القدس لم ترِدْ صراحة في هذه الرواية التي كتبها الدكتور إسحق موسى الحسيني في القدس، تبدو – في ظني – ذات علاقة بها، فأحداث القصة التي ترويها دجاجة فلسطين، كما يقول الدكتور طه حسين(1) هي –في رأيي- دجاجة مقدسية، عاشت مع الدكتور الحسيني في بيته في القدس، كما يتضح من تقديمه مخاطبًا القارئ، إذ يقول: "أيها القارئ الكريم: هذه القصة تصف حياة دجاجة عاشت في بيتي، ووقع بيني وبينها ألفة ومحبة فكنت أطعمها بيدي، وأراقب حياتها يوما فيومًا .

والأحداث التي ترويها وقعت لها بالفعل، وهي لا تتجاوز المألوف في حياة الدجاج، ولو قُدر لصديقتي الدجاجة أن تتكلم بلغة الأناسي لما قلت غير ما نقرأ، فأنا – في الواقع – أترجم لك ما أوحت به إلي،أما عنصر الخيال فيها فضئيل، وهو لا يعدو أن يكون تعليقاً على هامش الحياة، أو تحليقاً في عالم المثل العليا " .

ويعنينا من هذه الرواية أن نشير إلى ما نظن أنه يتصل بما كان يدور في فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، وذلك حين يحدثنا الدكتور الحسيني على لسان دجاجته عن العدو الذي هاجم الدجاجات اللاتي كن ينعمن في مأواهن، فاحتدم الصراع بين زوج الدجاجات والعدو الطارئ، وهو إشارة – في ظننا –إلى هجمات الصهاينة وهجراتهم إلى فلسطين والقدس، وقد تكررت الإشارة إلى ذلك في غير موضع من الرواية .

ومما يدعم هذا الذي نذهب إليه ذاك الحوار الذي أجراه المؤلف في نهاية روايته بين الدجاجة والزعيم، وشارك فيه الأولاد، ويجري الحوار الذي بدأه الزعيم على هذا النحو: " لا يمكن للمأوى أن يتسع لنا جميعاً، ويعز على أن أغادر المأوى الذي نشأت فيه لأخليه لهذه الأسرة الطارئة، ونحن بين أمرين: إما أن نتنازل عن مأوانا، أو نتمسك به ونطرد الغريبات عنه، فقال أحد الأولاد: لا يعقل أن نتنازل عن مأوانا الذي نشأنا فيه، والواجب يقضي أن تعود الأسرة (الوافدة الغريبة) من حيث أتت، فصاح الأولاد: هذا حق، وليس فينا أحد يهون عليه أن يفرط في مسقط رأسه، فقال الزعيم: إذن نحن متفقون، ويجب أن نعود حالا وننفذ الخطة . (2)

فالكاتب لم يذكر القدس صراحة في روايته كما أسلفنا، ولكن هذه الدجاجة مقدسية، عاشت في بيت الدكتور الحسيني، وأبصرت ما يدور في فلسطين وفي القدس، في فترة كانت الهيمنة لسلطة الانتداب البريطاني، التي كانت ترعى شؤون الصهاينة، وتحافظ عليه، مما جعل المؤلف يلجأ إلى الرمز في التعبير عما يريده، وعما يبصره في مدينته التي نشأ فيها، تلك المدينة (القدس) التي كان يصول فيها اليهود

ويجولون بغية تهديد واستباحة حرمات موطنهم، وطردهم من وطنهم .

2- صيادون في شارع ضيق – لجبرا إبراهيم جبرا:

تروي لنا أحداث هذه الرواية قصة بطلها "جميل فران" الذي هاجر إلى بغداد بعد نكبة عام 1984، وترك مدينته القدس ليعمل معلمًا في إحدى الكليات في بغداد، وهناك تنشأ علاقة حب قوية بينه وبين سلمى الربيضي، إلى جانب علاقته بابنة أختها سلافه النفوي، التي تزوجها فيما بعد، وروى لنا الكاتب أحداث روايته بضمير المتكلم، أي أنه اتخذ من جميل الفران راوية لإحداث روايته التي نوافق من عدّها " أشبه ما تكون بالسيرة الذاتية " لمؤلفها جبرا، الذي تتبع فيها سيرة هذه الشخصية الفلسطينية المهاجرة، ليعرض المشكلة الفلسطينية أمام الغربيين (3)، مما جعله يكتبها باللغة الإنجليزية عام 1960، قبل أن تترجم إلى اللغة العربية بأربعة عشر عامًا .

وما يكاد بطل الرواية "جميل فران" يصل إلى بغداد، متنقلاً بين عدد من فنادقها، حتى نرى الضيق يسيطر عليه، وينتابه شيء من الكآبة، إذ يتذكر مدينته التي جاء منها إلى بغداد، إنه يتذكر مدينة القدس بمجرد وصوله إلى بغداد في اليوم الأول من شهر تشرين الأول عام 1948، إذ يقول مفسرًا لنا قلة البهجة التي كان يشعر بها، في إطار من السرد والتقرير والمباشرة: " لم يكن السبب أنني رأيت لندن وباريس والقاهرة ودمشق، لقد أنسيت أسفاري، وما عدت أستطيع أن أذكر ملامح أية مدينة في العالم سوى مدينة واحدة أذكرها، أذكرها طوال الوقت، تركت جزءًا من حياتي مدفوناً تحت أنقاضها، تحت أشجارها المجرحة، وسقوفها المهدمة، وقد أتيت إلى بغداد وعيناي مازالتا تتشبثان بها –القدس"

ويمضي بعد ذلك يسترجع شريطًا من الذكريات في مدينة القدس، التي غدت مستودع ذكرياته، فيحدثنا عن بيتهم في جبل القطمون في القدس الجديدة، وآل شاهين (جيرانهم في القدس) الذين أحب ابنتهم ليلى، وخطبها، وما عاد يقدر على نسيانها، على الرغم من ارتباطه بغيرها في بغداد مما جعلها تغدو "رمزًا ومعادلًا لفلسطين"(4)

كما عرض – من ذاكرته –أمامنا صورًا من مقاومة أهل القدس والقرى المجاورة لها للصهاينة وإخلاء الحي الذي كانت تقطنه أسرته، وكيف أضحى منزلهم خرابًا، بفعل الاعتداءات المتكررة التي كان يقوم بها الأعداء في القدس، تلك الاعتداءات التي كان من آثارها أن يد ليلى (خطيبته) قد انقطعت .

ولم يقف شريط الذكريات القائم على الاسترجاع في الرواية عند هذا الحد، وإنما تخطاها، حيث وقف بنا الكاتب عند ذلك الحوار الذي كان قد جرى في القدس بين "الأب عيسى" رجل الدين المسيحي وجميل فران، بمشاركة شقيقه يعقوب، فالأب عيسى ينكر على الغرب المسيحي تفريطه في أرض المسيح، وفي المدينة المقدسة (القدس)، وبين استنكاره قائلا: "كيف يسمحون للقدس بأن تنهدم تحت أقدام الإرهابيين الصهاينة" وهذا يبين لنا أن جبرا كان حريصًا على "طرح مجموعة من الحقائق والأفكار" وفي روايته التي كتبها للغربيين، مما جعل حبكة الرواية في كثير من الأحيان تبدو "حبكة مفككة، فلا نجد أي رابط يربط بين أحداث هذه الرواية أو بين شخصياتها، وبين البناء العام لها، باستثناء ذلك الإطار الزمني التي تدور في شخصية ذلك

الفلسطيني المهاجر، وكل جزئية في الرواية تقدم لنا من خلال علاقاتها بتلك الشخصية " (5)

وتبدو نظرة جميل فران، التي تمثل نظرة المسيحيين الشرقيين للقدس، تبدو متباينة مع نظرة المسيحيين الغربيين لها، فهو أي جميل – يُعد المسيح جزءًا من هذا المكان (القدس) بخلاف الغربيين الذين يصور لنا الكاتب موقفهم (في ذلك الحوار) قائلا: "ولكن، أتعرف كيف يفكرون به في الغرب ؟ هل تظن أن مسيحيتنا تشبه مسيحيتهم ؟ وحين ينشدون المزامير عن القدس، هل تظنهم يقصدون شوارعها بسقوفها المعقودة، وأزقتها المرصوفة بالحجارة، وتلالنا المدرجة ؟ أبدًا، لقد أمسى المسيح عند الغرب فكرة، فكرة مجردة ضمن مشهد، غير أن المشهد فقد معناه الجغرافي، الأرض المقدسة عندهم أرض في عالم الجن، وقد اخترعوا "أورشليم" زاهية لهم وحدهم، وجعلوها مدينة أحلامهم " (6)

ثم يأخذ في تفصيل موقف الغربيين من القدس، ذاك الموقف الذي تأثروا فيه بتعاليم الصهاينة وديانتهم، مشيرًا بذلك إلى مدى تغلغل الفكر الصهيوني في عقول الأوربيين، كما يتضح من قوله "عندما ينشدون عن القدس في ترانيمهم فإنهم لا يقصدون مدينتنا، قدسهم جنة،، وقدسنا نار، مدينة بلا سلام، كذلك لم تُعد قدسهم مدينة المسيح بل مدينة داود، فماذا يهمهم إذا تهدمت بيوتنا، وإذ قطعت ألف ليلى (خطيبة جميل فران) إلى أشلاء صغيرة، وحولت أبواب مدينتنا إلى مذابح ؟ لقد سرقوا مسيحنا ورفسونا في أسناننا " فالكاتب معني بنقد المسيحية الغربية ومحاكمتها على لسان جميل فران (7)

ومع أن هذه الأفكار المجردة تضعف من فنية العمل الروائي، إلا أننا نرى أنها تمنح القدس قيمة خاصة، ومعنى خاصًا، لأن القدس (المكان) قد أضحى في مثل هذا العمل قضية فلسفية ذهنية، بل قضية مصيرية، عُني الكاتب برسم أبعادها المختلفة، من خلال التعامل مع الشيء ونقيضه (مسيحيتهم .. ومسيحيتنا .. قدسهم .. وقدسنا .. جنة .. نار)، ومن خلال اختراق الحواجز المكانية والزمانية في الرواية .

3- سداسية الأيام الستة –لإميل حبيبي:

نود في البداية الإشارة إلى الخلاف الذي دبَّ بين الدارسين حول "السداسية"، التي نميل إلى دراستها ضمن الروايات، مع أن بعض النقاد والدارسين قد عدّها من القصص القصيرة، بينما اعتبرها آخرون أقرب ما تكون إلى الرواية، دون أن يصدروا في ذلك حكمًا جازمًا، ولعل الذي أثار هذا الخلاف بين الدارسين والنقاد، ذلك الأسلوب الذي كتب به إميل حبيبي سداسيته، وطريقة بناء الأحداث فيها، إضافة إلى أن كل لوحة من لوحاتها الست تعبر عن قضية معينة، وإن كانت –في ظننا– تظل ذات صلة بالجو العام أو الإيقاع الذي يسري في جسم سائر اللوحات، ولعل ما جاء على لسان إميل حبيبي نفسه يدعم هذا الذي نذهب إليه، إذ قال ردًا على سؤال وجهه إليه محمود درويش وإلياس خوري حول سداسيته:"لقد هزّني شكل اللقاء الذي تم بعد عشرين عامًا بين أفراد هذا الشعب الواحد، كما هزّني هذا الإهمال الذي لقبناه، والذي وصل حد النسيان والعداوة، ورأيت في السداسية أن أعالج هاتين القضيتين المترابطتين: شكل الفراق، وشكل اللقاء، ومستقبلهم، وأعتقد أنني حققت أعمق التعبيرعن هاتين القضيتين المترابطتين" (8)

وقد اتخذ إميل حبيبي للوحاته الست العناوين التالية:

1- حين سَعِدَ مسعود بابن عمه .
2- وأخيرًا نوَر اللوز .
3- أم الروبابيكا .
4- العودة .
5- الخرزة الزرقاء وعودة جبينة .
6- الحب في قلبي .

ترد الإشارة إلى القدس في مواضع مختلفة من هذه اللوحات، ففي اللوحة الثانية نجد الكاتب أشار الى زميله الذي افترق عنه، فسافر إلى القدس لإنهاء دراسته في الكلية العربية، أما اللوحة الثالثة (أم الروبابيكا)، فنجده يحدثنا عن هذه العجوز التي ظلت صامدة في وطنها، على الرغم من نزوح وزجها ووالدها عقب النكبة، وصوّرها لنا وهي تشتري "دواشك" القنيطرة، وتجمع أثاث الراحلين، مبينًا لنا معرفته الوثيقة بها، فهي ترمز –في ظننا– إلى الوطن، إلى فلسطين، التي ظلّت صامدة، تنتظر عودة الراحلين عنها، ومما يؤكد ذلك، تلك الصلة المتينة التي تربط بين الأمكنة المختلفة في الوطن، كما يتبدى لنا من خلال الربط الموحي بين الرملة والقدس القديمة، يقول: "ورفعت رأسها اعتذارًا، أعترف أنهم في حاجة إليّ وأنتم، هل تتوهمون أني أكتب عنها دون استئذانها، إذا ظننتم بي هذا الظن فإنكم لمخطئون، لا تعرفون عنها، مثلا، أنها وجدت أحد أولادها معتقلا في سجن الرملة، متهمًا بتوزيع منشورات في القدس القديمة (9) .

أما في اللوحة الرابعة (العودة) فنجد الكاتب يحدثنا عن مسيرة الجمعة العظيمة التي يقيمها "نصارى القدس" ليضعوا إكليلا من الزهور على قبور الشهداء، في الذكرى الأولى لهزيمة حزيران، التي عبّر عنها الكاتب بقوله:" في الخامس من حزيران الثاني" مما يوحي بقدرته على التلاعب بالألفاظ، وتسخيرها للتعبير عما يدور في ذهنه، ويمضي الكاتب مع صاحبه المقدسي يمران بأسواق القدس وأحيائها وأزقتها.

وتختلط الأمكنة في ذهن الكاتب، حين يذكر له صاحبه المقدسي تدفق الجماهير القادمة من حوش الغزلان في القدس، ذاك المكان الذي هدمت بيوته وتبعثر أهلوه وهنا نرى المكان يتوهج عند الكاتب، إذ تتصل الغزلان في القدس بالغزلان في الناصرة، يقول: "الغزلان ؟ أي سرّ في هذا الاسم ؟ لدينا قرية قرب الناصرة وفيها أرض باسم "مراح الغزلان" وصودرت، وبيوتهم فيها مهددة بالهدم " ولعل وحدة هذا المكان في زمن الاحتلال، التي تبرز في اللوحات الست " تضيف عنصرًا روائيًا يساهم في إضفاء مزيد من الروابط بين اللوحات الى جانب الروابط التي يقدمها الزمن الروائي "، وقد ذهب أحد النقاد إلى أن أروع ما في السداسية بل أفجع ما فيها "هو وحدة الأرض الفلسطينية، ليست تحت راية النصر، وانما في ظلّ كابوس الانهزام" وقد أكثر الكاتب من الإشارة إلى ذلك في سداسيته، إذ نراه يقول حين ذكر له صاحبه المقدسي "سوق العطارين"، "ما أشبهه بسوق الشوام السالف في حيفا السالفة " (10) .

ويمضي الكاتب يتتبع تلك المسيرة، فيذكر اصطدام جماهيرها بالشرطة، لأنها أرادت أن تمنعهم من وضع الأكاليل على قبور الشهداء فاختلطت الأصوات، وعلا التكبير، ولكن الكاتب استطاع أن يختار مشهدًا

مؤثرًا يدل على وحدة الشعب في مقاومة الأعداء، ويعبر عن مقدرة فائقة عند الكاتب في تصوير ذلك المشهد، الذي ما عاد موقفًا خاصًا يحدث في القدس، وإنما غدا موقفًا إنسانيًا ممتدًا، يصور حالة الإنسان المظلوم الذي يواجه ظالميه، فهو يقف عند "جرجرة" الشرطة للمتظاهرين أول المشاركين في المسيرة إلى سياراتهم "سيارات الشرطة" ويصف موقف أمّ رأتهم "يجرجرون" ولدها، يقول: "فصرخت: ولدي، فانقضوا عليها كي يجرجروها هي أيضًا، فانشق الهتاف من كل جانب: ولدي، حتى لم يعرفوا أين أمه، كلهن ؟ أمه .." (11)، وهنا نرى كيف استطاع الكاتب أن يحرك المكان ن فيجعله متصلا بقضايا الإنسان ن مما يمنح العمل قيمة خاصة، ويكسبه طعمًا خاصًا كذلك .

وفي اللوحة السادسة "الحب في قلبي" نرى الكاتب يحدثنا عن نضال السوفيات في (لينينغراد) ذاكرًا أنه لم ينم في تلك الليلة (كان هناك، في تلك المدينة)، حتى وقعت في يده رسائل فتاة مقدسية "صبية في الثامنة عشرة من سنها، رهينة في سجن الرملة، شبه يوميات أو مفكرة، بعثت بها إلى والدتها في غفلة عين "، ونمضي مع هذه الرسائل الثلاث لنرى كيف استطاع الكاتب أن يعبر عن توحد الإنسان الفلسطيني على أرض فلسطين في شطريها: الأول الذي احتل عام 1948 م، والثاني الذي احتل عام 1967 م، فها هي ذي الفتاة المقدسية (فيروز) في رسالتها الثانية تحدث أمها عن صديقتها الحيفاوية في السجن قائلة: " وهي صديقة جديدة، أحبّ أن أحدثك يا ماما عنها، فهي ليست من عندنا، بل من حيفا، يعني عربية من (إسرائيل)، وهي متعلقة منذ حرب حزيران دون محاكمة أيضًا، وبتهمة الاتصال بالعدو، وفي هذا الأسبوع نقلوها إلى غرفتنا، التي تسمى "قاووشا" فرحبنا بها، وأصبحت واحدة منا، كأنما نعرف بعضنا منذ الصغر" (12) .

فالقدس في السداسية مكان مشتعل متحرك، وليست مكانًا ساكنًا أو مستودعًا للذكريات، وقد استطاع الكاتب التعبير عن ذلك بأسلوب اعتمد فيه على الرواية، وبلغة بسيطة تقترب من لغة الحياة اليومية، مستخدمًا الحكايات الشعبية أحيانًا، ومتكئًا على السَّرد والحوار، وتدخل الرواية في محاولة منه لنقل صورة واقعية (13) .

المحور الثاني: القدس في القصص

لعل كثرة القصص التي عرضت للقدس في الأدب تجعل من الصعوبة الاكتفاء بالإشارة السريعة إليها في هذا البحث، وذلك فقد ارتأيت أن أتوقف عند ثلاثة نماذج منها:

1- **النموذج الأول: قصة " أبو مصطف " لأمين فارس ملحس .**
2- **النموذج الثاني: قصة " الهوية " لإبراهيم الدقاق .**
3- **النموذج الثالث: قصة " المتفرجون " لخليل السواحري .**

أبو مصطف: لامين فارس ملحس:

تـروي لنـا هـذه القصـة بطولـة " أبـو مصـطف " ذلـك الدرويش الذي تجاوز الخمسين من عمره ويعرفه أهل المدينة كلهم، صغيرهم وكبيرهم "(14).

وقد استشهد هذا البطل في إحدى المعارك التي جرت بين العرب واليهود في أحد أزقة مدينة القدس "إنه زقاق ضيق، يخلو من المرابطين، لأنه لم يخطر على بال أحد أن يفكر العدو في النفاذ إلى قلب الأحياء العربية عن طريقه".

فالقصة تروي لنا معركة الزقاق في القدس، تلك المعركة التي انحدر فيها الأعداء وانسحبوا جميعًا قبل مجيء طلائع النجدة العربية إليه . وما كادت تلك الطلائع أن تصل، حتى عادت الى الضابط المسؤول الشاب إبراهيم، تخبره بما أسفرت عنه المعركة من قتلى في صفوف اليهود، ومقتل رجل واحد من الأهالي . ويتوجه إبراهيم إلى الزقاق، ليجد المفاجأة ماثلة أمامه، لأن الذي استشهد في المعركة " أبو مصطف " فها هو ذا يقبض على حجر في يمناه .. ولكنه يعلم بعد ذلك أن"أبو مصطف" الذي كان يسكن وحده في اصطبل قديم في الزقاق، كان قد تمكن من قتل أحد الأعداء، وسيطر على ما يحمله من سلاح وقنابل يدوية، استخدمها في قتل الجنود الصهاينة.

ويقف إبراهيم أمام جثة " أبو مصطف " وتعود به الذاكرة إلى أيام صباه، حين كان فتى صغيرًا، ويأتي أبو مصطف صديق والده إلى دكانهم، ويتحدث مع والده، ومع من في السوق طويلاً . . تلك الأحاديث التي كان يعجب بها إبراهيم الفتى، وعرف منها قصة أبو مصطف الذي أصيب بصدمة عصبية في إحدى المعارك التي شارك فيها مع الأتراك في الحرب العالمية الأولى، وعاد إلى المعركة ليجد أمه وأباه وزوجته قد قضي عليهم وباء " التيفوس" فعاش بعدها درويشًا على باب الله، لا أهل له ولا مبيت إلا أصدقاؤه القدامى، وذلك الاسطبل القديم الذي يقطن فيه في زقاق ضيق (15) .

كل ذلك يستذكره إبراهيم ضابط اليوم، فتى الأمس، الذي كان يستمع لحديث (أبو مصطف) عن بطولاته في المعارك، ولكنه يراها الآن حقيقة واقعية تمثل أمام عينيه .

وقد وفق القاص في بناء أحداث القصة، ورسم معالم شخوصها، سواء أكانت شخصية البطل "ابو مصطف" أم الشخوص الأخرى المحيطة به، مما يمكن المرء أن يعد القصة، من النماذج المتفوقة في مضمونها وبنائها الفني، ويدعم هذا ويؤكده قدرة الكاتب على اختيار كلماته وتراكيبه بعناية فائقة، مما لا يجعلنا نحس بالحشو أو الاستطراد الممل يتسلل إليها . وكان يخفف من توالي السرد للإحداث بزوغ الحوار بين الحين والأخر، إلى جانب حديث النفس .

ونود أن نشير كذلك إلى أن القصة تصور واقعًا عاشته المدينة (القدس) في فترة من الفترات صراعها وصراع أهلها مع اليهود الصهاينة، وقد صاغ الكاتب أحداث ذلك الواقع بدقة، حتى يخيل للمرء أن الكاتب ليس شاهد عيان لأحداث تلك الأجواء التي كانت تحياها القدس، وإنّما يكاد يتصور أن شاهد معركة الزقاق واستشهاد " أبو مصطفى " هو الكاتب وليس الضابط "إبراهيم " مما يمنح القصة قيمةد، ويشعل في مضمونها الحرارة .

الهوية –لإبراهيم الدقاق:

يتناول الدقاق في قصة مشاهد من حياة "يحيى" أحد مواطني القدس، الذي يحقق معه الضابط الإسرائيلي "آرييه" ويهدده بالعقاب إذا استمر في موافقة المناوئة لإسرائيل التي

سماها الضابط شقاوة ! ثم يطلب إلى أحد أتباعه أن يعرض على "يحيى" الهجرة أو تسليم الهوية،ولكنه يرفض ذلك مع أنهم ساقوه إلى مركز الشرطة وضربوه .

وقد تتبع الكاتب مواقف يحيى ضد الأعداء ورسمها بدقة ووضوح، وجعلها تنطق بعزة يحيى، المواطن الفلسطيني، وإبائه كما جاء في نهاية القصة، حيث يقول "سأبقى هنا ولن أسلم الهوية، لم تتركوا لي منفذًا....هل فهمت ؟ ثم تقدم من مكتب "آرييه" وضرب عليه بشدة، وشدد على مخارج كلماته وصرخ: سأبقى هنا وليكن ما يكون: سجن .. ضرب .. سأبقى هنا .. هل فهمت ؟ (16)

فالكاتب لم يصف لنا موقف الصمود الذي يمثله بطل القصة "يحيى" أمام الأعداء، بتدخل مباشر منه، وإنّما أنطق بطل القصة بما يدل على الصمود والثبات، دون أن يجعل القصة تقترب من المباشرة، وأشعل فيها حرارة الواقع، فجعلها تعبر عن نبض الشعب، حتى غدت كلمات يحيى "سأبقى هنا" لازمة تسري في جسم القصة، فيتلقاها المتلقي بالقبول والارتياح حرة متوهجة، توهج الصمود نفسه .

وعلى الرغم من وسائل البطش والفتك التي تملكها الشخصية اليهودية الممثلة في القصة بالضابط "آرييه" إلا أنّنا قد رأينا هذه القوة ووسائلها تتهاوى أمام ثبات"يحيى" وصموده مما جعله يطرده من مكتبه بعد أن تضايق من موقفه . وهذا النجاح يسجل لهذا الكاتب الذي استطاع أن يبني قصته بناءً فنيًا ناجحًا، يشد الملتقي، ويجعله يُقبل على قراءة هذا العمل الفني المتماسك بإعجاب وتقدير .

المتفرجون _ لخليل السواحري:

هذه القصة إحدى قصص مجموعة "مقهى الباشورة" لخليل السواحري . وإذا كان بعض كتاب القصة يعرضون في قصصهم نماذج للبطولة الفردية للمرأة في القدس، فإنّنا نجد في قصة "المتفرجون" صورة أخرى، فهي تمثل صورة المواجهة النسائية الجماعية للأعداء، إذ كانت بطلة القصة أم أحمد، تتصدر النساء في إضرابهن في إضرابهن ومظاهراتهن ومقاومتهن للأعداء . ولعل وعي الكاتب بأساليب النضال ومعرفته بطرق مواجهة الأعداء ومقاومتهم،هو الذي جعل نظرته للأمور تختلف عن غيره من الأدباء الذين عرضوا لصورة المقاومة الفردية في قصصهم ويروي الكاتب أحداث قصته بضمير المتكلم، ليحدثنا عن هذه المرأة التي ظنّ كثير من الناس أنها غير طاهرة، لأن الرجال يترددون على منزلها، وتغيب عنه طويلاً، وتعود إليه في الليل، دون أن تبدو ساكنة كغيرها من النساء، مستخدمًا المثل الشعبي الفلسطيني ليدل على ظنّ الناس في هذه المرأة، كما جاء في حديث الكتاب "هذا حال بنات الحلال تظن إحداهن (دايرة من بيت اشكع لبيت اركع) "(17)

ومع أن مراقبة الرواية لبيت أم أحمد تبقى مستمرة،ويتتبعها خارج البيت في محاولة منه لمعرفة السر الكامن وراءها، إلا أنه لم يستطع إلصاق تهم الناس بها . وذات يوم يتتبعها فتمضي إلى ساحة المسجد الأقصى، فيقرر أن يصلي الجمعة فيه، بعد أن سببت له متابعتها صداعًا في رأسه . ويستمر في أداء مهمته بعد الصلاة ليرى مجموعة من النساء يحملن أكاليل الزهور، وبعض اليافطات ويرددن بصوت مرتفع: القدس عربية وستبقى عربية . **ويكتشف أن أم أحمد** التي يبحث عنها تهتف مع النساء **بسقوط الاحتلال وعروبة القدس،** فينعقد لسانه لهذه المفاجأة . وقد اختتم قصته باستشهاد المناضلة أم أحمد، يقول: "في اليوم التالي كان

عمال الفندق يتحدثون بأسى عن امرأة يقال لها أم أحمد، لاقت حتفها بعد أن داستها خيول الشرطة في باب الساهرة، وذلك في أثناء خروجها في مسيرة إلى قبور الشهداء .(18)

وقد استطاع الكاتب رسم صورة واضحة المعالم لنضال المرأة الفلسطينية، من خلال تتبعه لأم أحمد و بتصرفاتها الطاهرة، وحركاتها الخفيفة، التي أحاطها بجو من السرية والغموض، مما يجعلها ترمز إلى قطاع من المناضلين السريين الذين يقاومون الاحتلال من خلال تنظيم سياسي يتحرك ويعمل تحت الأرض ".

ولعل ظن الناس بأم أحمد واتهامهم لها بأنها امرأة غير عفيفة،كما يبدو من شكوك الجيران، وصاحب البيت الذي تسكن فيه، لعل ذلك يشير إلى عدم ألفة الناس لهذا الأسلوب النضالي الذي تقوم به امرأة في فترة مبكرة بعد الاحتلال الإسرائيلي، إذ كتب القاص قصته بعد عام واحد من الاحتلال . فبطله إذ واحدة من طلائع النضال الفلسطيني الريادي في القدس، تفكر في مصير وطنها، وتهتف بعروبته، وسقوط الاحتلال الطارئ .(19)

المحور الثالث: القدس في المسرحية

كانت المسرحيات التي عرضت للقدس تهتم – في معظمها– بالجوانب التاريخية إلى جانب القضايا الاجتماعية، دون أن تكون هذه القضايا منفصلة عن بعضها، وإنّما كانت تتداخل فيما بينها. ولعل هذا يقودنا إلى عدم تناول هذه المسرحيات من خلال القضايا التي تعالجها، أو المحاور التي تنتمي لها، وإنّما نقف عند كل مسرحية لنرى صورة القدس فيها. وسنقف عند ثلاث مسرحيات هي:

1- وطن الشهيد – لبرهان الدين العبوشي.
2- أسرة الشهيد – لمحيي الدين الحاج عيسى .
3- راحيل – لنجاتي البخاري

1. وطن الشهيد – لبرهان الدين العبوشي: (20)

تناول، العبوشي في مسرحيته أحداثًا وقعت في زمن الأتراك في فلسطين، إلى جانب الحديث عن الاستعمار الغربي الذي لم يفِ بوعده للعرب، وتصوير مكر اليهود وخداعهم، وحرصهم على استلاب أموال الناس. كما عرض موقفًا إيجابيا للجامعة العربية من قضية فلسطين على لسان مندوبيها.

وقد ترددت الإشارة للقدس. في غير موضع من هذه المسرحية التي غلب عليها الاهتمام بالأحداث التاريخية، مما جعل الشاعر "يبسط أحداثه على فترة تاريخية تزيد على ثلاثين عامًا، تتعاقب عليها شخصيات مختلفة، دون أن يهتم برسم شخصيات تمتد زمنيًا، كان تعيش الشخصية في حقب مختلفة، أو يحاول أن يجعل هذه الشخصيات تتعاقب في أجيال تحمل سمات تاريخية، وخصائص اجتماعية، وتحدد قسماتها، وتطور وعيها السياسي والفكري .

وقد وقف بنا الشاعر في بداية مسرحيته عند الحوار بين الشريف حسين بن علي وأبنائه حول وعد بلفور، ووعد الحلفاء له فيما يتعلق بفلسطين، ولكنه حوار مباشر، ليس فيه لسعة الشعر ولا حرارته، كما يبدو لنا من هذا الجزء من ذلك الحوار، الذي يتصل بالقدس، يقول: (21)

الحسين:

يقولون بلفور تخطى حدوده وجال على أبناء صهيون بالقدس

وهل نسى الأحلاف وعدهم لنا أظن وعود الغرب تأخذ بالفلس

عبدالله:

وإن فلسطينا لنا لا نبيعها ولو بذلوا ملك الفرنجه والفرس

علي:
لقد كذب الأحلاف ما شاع عنهم بأن فلسطينا ستذهب للحبس
ولو سلبوها لا تنتفضت عليهم برابغ لا أرتاح فيها ولا أمسي

الحسين:
ألا فاعلموا هذي فلسطين منحة من الله تفدى بالنفيس وبالنفس
أحارب أهل الأرض من اجلها فلا تضيع ولو أدرجت في غيهب الرمس
سلام على الأقصى المبارك حوله هناك سلام لا يغيب مع الشمس

وقد جعل الشاعر هذا الموقف للشريف حسين بعد أن كان قد بيّن لنا موقفه من الإنجليز، الذين كانوا يلوحون بسيطرة الصهاينة على القدس، إذ جاء على لسان الشريف حسين، ردًا على رسول الإنجليز، في بداية المسرحية، قوله (22):

بلغ رجالك أنّي شاكر لهم ودادهم وجميل كل ما كتبوا

لكن تاجي بغير القدس منتقص فإن رضوا سألبي كل ما طلبوا

لا تجهلوا فبلاد العرب واحدة يضمها الدين والتاريخ والنسب

ويلتفت الشاعر إلى حرص الصهاينة على امتلاك القدس، مهما يكلفهم ذلك من أموال، إذ يقول على لسان (ديفد) الذي دفع مالًا كثيرًا إلى (وايزمان)، من أجل هجرة الصهاينة، إلى فلسطين، والقدس بغية إقامة دولتهم فيها (23):

ديفد:

وهاكم عشرة مني كتقدمكم لنقل أمتنا للقدس في السفن

(يدفع بالشيك إلى وايزمان)

فإنّنا إن ملكنا القدس دان لنا ملك المشارق من شام إلى عدن

فإنّها القبلة الأولى لملتهم وما بذلتم فهذا أرخص الثمن

ويمضي الشاعر بعد ذلك في عرض مواقف الصهاينة، وبذلهم للأموال، واستغلالهم للوسائل الكفيلة بالسيطرة على خصومهم عن طريق الاقتصاد والنساء- كما يقول - منطقًا (وايزمان) بموقف فكري تبناه الأعداء، وذلك حين يقول مخاطبًا .قومه (24) وايزمان:

قضيتكم يا قوم أرض وهجرة فإن تنجحوا فيها فيا فوز آمالي

ولكن حرص الشاعر على إظهار معلوماته التاريخية، وولعه بتتبع التفاصيل والجزئيات.، جعله يقف عند هذا الحد،دون أن يتمكن من كشف كيد الصهاينة ومكرهم، أو تصوير تمسك أهل فلسطين بوطنهم وقدسهم، ولعل هذا هو الذي جعله ينطق أحد شخوص مسرحيته (كلفر سكي)، .بمواقف غريبة عن تفكير الأعداء، وذلك حين يذكر قومه بأن أوروبا قد فتحت القدس مرة، ولكن "بني الأعداء" قد أفاقوا وملوا شتاتهم، وأعادوا القدس، وحرروها من سيطرتهم. ويدعم ما نقوله أو نذهب إليه من حرص

على إيراد المعلومات التاريخية في المسرحية، ما ذكره الشاعر في مقدمتها، إذ نص على أنه استعان على تصوير نوايا العدو "بالمطالعة والجرائد والأخبار اليومية، والحوادث الدامية، والتحليل، والبيانات المختلفة، والعقل والعاطفة، وتجارب الذين خدموا القضية (25) .

وحين وقف الشاعر عند مندوبي الدولة العربية في جامعة الدول العربية، وردت الإشارة إلى القدس في إطار من الحزن والبكاء والعويل، وإظهار الحماسة والانفعال، فها هو ذا يقول على لسان المندوب السعودي في الجامعة: (26)

إن جرح القدس لا ينسى وها نحن جئنا بعدما الصبر نضب

فلنقرر خطة نستنها فاغنموا الوقت فذا الوقت ذهب

ومثل هذه المباشرة تجعل من الشعر "قوالب جاهزة " ولا تتفق مع طبيعة الأدب المسرحي، والذي يفجر الحوار في قضية حارة من قضايا الإنسان، ويجعل العلاقة مع المكان قوية، تستثير الإنسان، وتدفعه إلى العمل . ولكننا نحس أن القدس في مثل هذه المسرحيات التاريخية، ليس لها خصوصية، بل نزعم أننا إن وضعنا مكانها أي اسم آخر، أو اسم مدينة أخرى، لما اختل البناء الفني للمسرحية، التي جاء معمارها ضعيفًا . ولكننا نود أن نشير إلى أن مثل هذه المسرحيات لا تكتسب قيمتها، من خلال بعدها الفني غير المتماسك، وإنّما لكونها قد نُظمت في فترة مبكرة من فترات الصراع مع الأعداء، فنبهت الناس في فلسطين، وفي غيرها من البلدان العربية، على الخطر الذي يتهدد وطنهم، ويكيد لقدسهم .

2. **أسرة شهيد – محيي الدين الحاج عيسى**: (27)

تدور أحداث هذه المسرحية الشعرية حول أسرة فلسطينية استشهد ربها في معركة قرب حيفا قبل النكبة عام 1948م، وأوصى زوجته أن تكتم عن أولاده خبر استشهاده، لتقول لهم: أنه وقع أسيرًا في أيدي الصهاينة، حتى يكبروا، ويصبحوا قادرين على أخذ الثأر، عندئذ تصارحهم بحقيقة الأمر . ولكن الأبناء (سعد وجميل ودعد) تمكنوا من كشف الحقيقة، حين أخذت أم سعد تبكي زوجها كثيرًا في أحد المخيمات الفلسطينية خارج الوطن . ويلتحق أبناؤها: سعد وجميل بالفدائيين، ويدخلان إلى فلسطين مع أحد الضباط ليعرفا معالمها . وقد سجل الشاعر ما حدث معهم في جبل كنعان وجبل الكر مل وجبل الطور، وفي بيارات حيفا ... ولكن تلك المواقف لم تكن مواقف قتال ونضال، بل مواقف زيارة فحسب، حتى إذا ما انتهيا من جولاتهما التي طالت عادا إلى أمهما في كوخها، ثم التحقا بقواعدهما من جديد .

وقد تكررت الإشارة للقدس وما يتصل بها في المسرحية، ولكن الإكثار من الحشو، والتفاصيل المملة، قد عكسا آثار سلبية على المسرحية، وأضعفا من معمارها الفني . من ذلك على سبيل المثال ذلك التتبع لسرقة الخاتم الذي اتهمت به دعد، وإعلان براءتها في النهاية .

وقد سيطر على الشاعر الحزن والسوداوية، إلى جانب النبرة الخطابية في التعبير عما يريد .ولعل مما يدل على ذلك قول الشاعر يصف الحديث الدائر بين سالم

(الضابط) وسعد وجميل، حين أشرفوا على جبل في القدس (28):

أترى يا سعد ماذا احدث الدهر الخؤون
هذه القدس وهذا جوها جو حزين
ملك الأعداء منها ما هو الجزء الثمين

فمثل هذا الشعر يبدو متهالكًا، لا يقوى على التأثير في نفوس المتلقين، بفعل صياغته المباشرة المختلط بالحزن والألم وقريب من ذلك استذكار معارك القدس في الحوار الذي جرى بين هؤلاء الثلاثة، ومختار أهل الطور.

وكانت الإشارة إلى إنشاء جيش التحرير الفلسطيني فرصة سانحة للتعبير عن الفعل لا ردة في نفس الشاعر . ولكنه لم يحسن استغلال هذا الحدث، وراح يعبر بأسلوب حماسي، عن فرحته، التي ما استطاعت أن تتخلص حتى قيود القافية التي وقع في أسرها، كما يتضح من قوله على لسان أحد رجال الطور في القدس: (29)

الرجل:

الناس في القدس مغمورون في فرح
مستبشرون وبشراهم بكل فم
إن الملوك وأقطاب العروبة قد
نادوا لنا بالكيان الخافق العلم
جيش تميد به الغبراء راجفة
مستنفراً يمطر الأعداء بالحمم

3. راحيل – لنجاتي البخاري: (30)

تدور أحداث هذه المسرحية النثرية في مدينة القدس بل في قبة راحيل، التي توجد في غرفة (في القدس خلف السور القريب من باب العامود، والقضية الرئيسية التي تعالجا المسرحية هي بحث راحيل عن اللغز، لغز يتمثل في أسرة غادرت يافا إلى القدس بعد النكبة عام 1948م . وحين تمكن الصهاينة من احتلال بقية أجزاء القدس عام 1967م، راحت راحيل تبحث عن تلك الأسرة (اللغز) .. وتعذب الناس في القدس، فيأتي لها الجنود الإسرائيليون بكل مواليد يافا عام 1948م، الذين يقيمون في القدس، ويشرف ابنها (عوفر) على تعذيبهم والتنكيل بهم، وحرقهم في الفرن الكهربائي .. ولكن دون أن تتمكن راحيل من العثور على بغيتها . ويستمر البحث والتعذيب، إلى أن نجد راحيل في مواجهة عبدالله الراعي نكتشف أنه كان زوج راحيل بعد أن التقى بها في يافا عام 1942م، ونعلم أن سر معارضة (عوفر) لأمة في كثير من الأحيان هو كونه ابنا لعبدالله الراعي حيث كان اسمه (عدنان) ولكن راحيل أخفت الحقيقة، وسمته (عوفر) وأقنعته أن أباه إسرائيلي توفي في الحرب عام 1948م.

وقد صاغ الكاتب مسرحيته بأسلوب يعتمد على المفاجأة، وأكثر فيها من الحشو والاستطراد، وأنطق الشخوص بمواقفه وآرائه.

ولعل مما نأخذه على هذه المسرحية أيضًا أن أهل القدس فيها، وأهل يافا المقيمين فيها، ليسوا إلا ضحايا العدوان الإسرائيلي في الخامس من حزيران عام 1967م. وقد سيطرت تلك الهزيمة على الكاتب، وما عاد يملك الخلاص منها في بناء أحداث مسرحيته، وقاده ذلك إلى رسم صورة الناس المقهورين في القدس، المعذبين، الصابرين على الأذى، دون أن يتخطى ذلك إلى رسم صورة الناس المقاومين المناضلين، وإن اقترب من ذلك أحيانًا، على نحو ما يتضح لنا من موقف إسماعيل (ابن عبدالله) الذي كان يرتدي

ملابس الفدائيين، دون خشية من بطش راحيل، التي غدت في كثير من المواضع رمزًا لدولة إسرائيل، التي تعذب الفلسطينيين في القدس، بعد أن نكلت بهم وشردتهم من يافا، ولكنها تود متابعتهم وإبادتهم، ولو اضطرت إلى حرقهم في الفرن الكهربائي.

ومن بين الآراء الفكرية التي أنطق بها الكاتب شخوص مسرحيته، ما جاء على لسان "عوفر" الذي كان يرد على أمه "راحيل" موقفًا، بشأن الصهاينة في فلسطين والقدس، يقول "عوقر:" تتكلمين كما تشائين، عن الزمان والمكان، وتنسين الذين يعيشون فيهما، أعني الناس الذي يعيشون فيهما منذ الأزل، أعني سكان القدس الأصلين، الفلسطينيين، الذين كانوا فيها والذين فتحوا نوافذهم وأبوابهم لجميع الثقافات والحضارات " ويواصل الكاتب إنطاق عوفر بمثل هذه المواقف. بعد أن يشير إلى الشعوب التي مرت على سكان القدس، يقول (31):

عوفر:"مرت هذه الشعوب بسكان القدس، ولكن السكان هم سكانها، هم هؤلاء الذين وجدناهم في حزيران من هذه السنة، يقطنون بيوتها، ويجوبون شوارعها، ويمشون في حاراتها .. وهل تعتقدين أننا لو أبدنا جميع السكان ستكون القدس قدسنا، نعم، إن القدس بسكانها وليست بحائط تركه أجدادنا قبل الآف السنين ".

ومثل هذا الحجاج العقلي كثير في هذه المسرحية، مما جعلها تقترب من مستوى المقالة الفكرية في بعض الأحيان، إذ ليس من وظيفة المسرحية أن تخوض في مثل هذه القضايا بهذا الأسلوب السردي المباشر، وإن كان المكان "القدس" قد اكتسب في هذه المسرحية طعمًا خاصًا، لأن القدس قد أصبحت فيها قضية مصيرية من قضايا الإنسان الفلسطيني.

المحور الرابع: القدس في الشعر:

يتبين للدارس الذي يتتبع شعر القدس في القرن العشرين أن القدس قد وردت في هذا الشعر، ضمن محاور شعرية ثلاثة هي:

أ- الشعر الديني .

ب- الشعر الوطني والقومي .

ت- الشعر الاجتماعي .

وأود أن أنبه منذ البداية على أن هذه المحاور تتداخل في كثير من الأحيان، إذ لا فاصل يقطع بينهما، معتمداً على الصورة العامة الغالبة على القصيدة، حين يذهب إلى أنها تندرج تحت هذا المحور أو ذاك من المحاور .

أولا: القدس في الشعر الديني:

وردت القدس في عدد من قصائد الشعراء في فلسطين والأردن، التي نظموها لتعبر عن موضوعات دينية خالصة، ولم تكن القدس – غالبا – مقصودة لذاتها، وإنّما وردت في هذه القصائد، لأنها ذات صلة وثيقة بتلك الموضوعات الدينية التاريخية، أو أنها تشكل معلمًا رئيسيًا من معالمها .

فالقدس – في هذا الشعر – ترد ضمن جو ديني خالص، يعبر الشعراء فيه عن مواهبهم الدينية، والعاطفية، في مناسبات إسلامية مشهورة يحتفل بها، كذكرى المولد النبوي، والهجرة النبوية الشريفة، ومعجزة الإسراء والمعراج، وأن عددًا من الشعراء أمثال: برهان الدين العبوشي، وكمال الدجاني، ومحمد العدناني، كانوا في قصائدهم الدينية يبينون أهمية

القـدس وقداسـتها، مركـزين علـى فضـائلها ومزاياهـا الـتي اتسمت بها .

فالقـدس "أولى القبلتـين"، "وحاضـنة الأقصـى"، "ومدينـة الإسراء"، "ومسرى النبي"، "ومدينة الطهر" وتراث المسلمين، إلى جانب ذكر المقدسات المسيحية في هذه المدينة (32) .

وقد التفت الشعراء في عدد من قصائدهم، إلى استحضار بعض الشخصيات التاريخية المرتبطة بالقدس ارتباطًا وثيقًا، وذلك للتعبير عن فقد أملهم في حاضر الأمة العربية، التي لم تستطعْ أن تنقـذ القـدس مـن جلاّديهـا . وقـد استحضـر الشاعر كامل الدجاني صورة البطل صلاح الدين من أعماق التاريخ ليحدثه عن حالة القدس المهينة في مقطوعة قصيرة له نظمها عام 1921م،إذ يقول (33)

يا صلاح الدين قم وانظر إلى

حالة في القدس تستذري العيون

أبدل العز الذي تعرفه

ذلة واستأسد المستضـعفون

وفي عـام 1962م ينشـر أمـين شـنار على صـفحات مجلة (الأفق الجديد) قصيدة بيت المقدس " التي تداخلت فيها المشاعر الدينية والوطنية، وتجري على شكل حوار بين أمّ وابنها . والأم هي القدس والابن هو الشاعر، ابن القدس الذي يودها ويعشقها،ويعود إليها بعد طول غياب، فالشاعر يقدم لنا القدس في صورة الأم قائلا (34):

وهذه المدينة القدسية الرحاب

تحبني تبوح لي، وحبها تنهد، وبوحها عتاب

ابني، كيف يا بني .. يهجر الأحباب

أمًّا تهدهد الظمأ بدمعها المنساب

إما تجوع تأكل الآهات والأوصاب

بني عدت يا ابني يا وليدي الصغير

أين الصاحب يا بني ؟ أين موكبي الكبير؟ قد أقفرت ملاعب الرجال

وليس في سوح العلا أبطال

أماه يا أماه يا مدينة الأقداس

مدينة الحداد والمآذن الخرساء والأجراس

تدق للأبطال

تهيب بالرجال

وحين تلح المشاعر الدينية على الشاعر، نراه يستجمع ما تتميـز بـه المدينـة عـبر تاريخهـا الطويل،فيـذكر أن المسـجد الأقصى، مسرى الرسول، في القدس، ومنها مشى المسيح وأمه البتول . كما شاد فيها عمر بن الخطاب مسجدًا، ورّوع فيهـا صـلاح الـدين جمـوع الصـليبين فهـو يعـود إلى الذاكرة الثقافية ينتقي منها ما يلائم موضوعه، تلك الذاكرة التي " تأتي دائما بشكل ملح في فترات التهديد القومي، لأنها قادرة على أن تتحول إلى قوة فعلية، لحظة يتهدد بناء اجتماعي كامل بانهيار ودمار " .

ومن الشعراء الذين نظموا من شغل القصائد الدينية المتصلة بالقدس العبوشي (35) وأحمد حسن القضاة، ود. مأمون الجرار (36)، وحسن ربابعة (37)، وغازي الجميل (38)، ود. كمال رشيد (39)، وأحمد عقيلان (40)، وعدنان

النحوي (41)، ومحمد الشيخ محمود صيام (42) وصالح الجيتاوي (43) ودلال الخالدي (44) ورفيقة جمال الحسيني (45) وداود معلا ويوسف العظم (46) صاحب الديوان في رحاب الأقصى، وغيرهم من الشعراء الذين لا يتسع المجال لذكرهم أو الإشارة إلى قصائدهم .

التي تناولت حريق المسجد الأقصى، إذا تحدثت فيها عن الآثار التي بدت على معالم الأقصى بفعل النار التي التهمت جنباته، ولم يقف عند وصف الآثار المادية، وإنما عرض أمور أخرى ذات صلة وثيقة به، كما يبدو من قوله (47) .

لهفي على المحراب بات معطلا

أين الإمام وأين جرس دعائه

أين المؤذن ما لمئذنة الهدى

لا تستجيب لصوته وندائه

ثم تساءل عن المنبر والخطيب والمؤمنين الذين كانوا يؤمون الأقصى للصلاة فيه، محرضًا العرب على تحرير بيت النبيين الكرام لينتقل بعدها إلى التحذير من السكوت على حريق الأقصى، لأن ذلك سيقود إلى تدمير كل مقدسات مدينة القدس الإسلامية والمسيحية، يقول (48):

يا مسلمون ويا نصارى يعرب لم يلهن الأقصى بناء رثائه

إني أخاف على القيامة من يد صلبت يوسع لدينه ونقائه

إن المساجد والكنائس كلها لله فاحموا القدس من أعدائه

فإذا عزمتم فالسلاح سبيلكم فاستشهدوا تلقوا جزاء فدائه.

فالعبوشي يشير إلى ما يمكن أن نسميه عالمية مدينة القدس، وذلك حين أشار الى مقدساتها عند المسلمين والمسيحيين، وإن كانت القصيدة تتعرض لحريق المسجد الأقصى، الذي يحظى بأهمية كبيرة عند المسلمين .

وقد تناول الشاعر يوسف العظم في قصيدته (يا قدس) ماضي مدينة القدس وحاضرها، ماضيها الرائع المجيد، وحاضرها النكد التعس، ففي الماضي كانت قدس الفاروق عمر، وقدس صلاح الدين الأيوبي، بينما غدت في الحاضر مدينة حزينة يعيث فيها اليهود الصهاينة الفساد، ويدنسون طهرها، ثم رسم صورة حانية للقدس، تدل على مدى اقترابه منها، كما يتضح من قوله:

إن كانت الأوطان تحنو على

أبنائها فالقدس نبع الحنان

يفيض بالحب ليروي الظمأ

وينبت النرجس والأقحوان

القدس ام طهرها غامر

وحضنها بعض رياض الجنان

حين ثار الشعب الفلسطيني عام 1936م ثورته المشهورة، رصد الشعراء أحداثها وتفاعلوا معها، معلنين وقوفهم مع الشعب في وجه الأعداء، مهما تتعدد أشكالهم وأسماؤهم ومن هؤلاء الشعراء أبو سلمى الذي نظم قصيدته (يا فلسطين) في العام نفسه الذي اشتعلت فيه الثورة، واستذكر

فيها وقوف الخليفة عمر بن الخطاب على جبل المكبر، قبل دخول بيت المقدس، يقول (49):

جبل المكبر طال نومك فانتبه

قم واسمع التكبير والتهليلا

فكأنما الفاروق دوى صوته

فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا

جبل المكبر لن تلين قناتنا

ما لم نحطم فوقك البستيلا

ويغلب على ظننا أن الشاعر لم يلجأ إلى استذكار هذه الشخصية العظيمة التي ارتبطت بعزة القدس وتحريرها، هربًا من مواجهة حاضره الذي يعيشه فحسب، وإنّما كان يقصد استثارة الأمة، علّها تعيد ذلك الماضي المجيد، ومما يؤكد هذا الذي ذهب إليه أن أبا سلمى قد فزع إلى استذكار شخصية أخرى لها ارتباط بتحرير القدس، ونعني بها صلاح الدين الأيوبي، كما يتضح من قصيدته (فلسطين) وذكر فيها أن فلسطين (أخت صلاح الدين) فاستذكار مثل هذه الشخصيات في الشعر يعطي هذه القصائد قيمة تاريخية، لأنها تكتشف جانبًا مهمًا من جوانب مدينة القدس في مسيرتها التاريخية الطويلة، كما أن استذكار مثل هذه الشخصيات يلفت نظرنا إلى مفهوم الشاعر للزمن وطبيعة تعامله معه .. إذ ليس من الضرورة أن يقف الشاعر عند تاريخ عصره، وإنّما "قد يزامن عصره، أو يختار نماذجه عن الماضي أو يتصور مستقبلًا يتجاوز الحاضر والماضي ".

ثانيا: الشعر القومي:

وقد نظم الشعراء قصائد عدة في مناسبات قومية مختلفة، دون أن ينسوا ذكر فلسطين والقدس، والأقصى، وإنّما كانت القدس وما يتصل بها تحتل مكانة هامة فيها . وكانوا يكثرون من ذكر القدس ومقدساتها وهم يدعون العرب إلى نصرة فلسطين وأهلها، ويحرضونهم على إنقاذ المقدسات، وتخليصها مما تتعرض له من احتلال وإيذاء، كما عرضوا لذلك أيضًا في قصائدهم التي دعوا فيها إلى الوحدة، مستغلين ما كان يحدث أحيانًا من وحدة بين بعض الأقطار العربية، فتقام لها الأفراح وتدق لها الطبول، بينما فلسطين في يد الأعداء مكلومة، والقدس عاصمتها أسيرة مكبلة (50) .

ومن أبرز الشعراء الذين نظموا في هذا المجال: محمود الحوت، ويوسف الخطيب، وحسن البحيري، وعبد المنعم الرفاعي، وجميل علوش، ومحمود الروسان، وعبد الكريم الكرمي، وراضي صدوق، وهارون هاشم رشيد، وسلمى الطوبي، وسليمان المشيني، وجمال سلسع وغيرهم .

ما كانت حرب حزيران تنتهي حتى رأينا حسن البحيري يثور لهزيمة الأمة العربية منذ إمارتها الأولى، وذلك في قصيدته " يا أمتي لن تقهري " " التي نظمها في حزيران عام 1967م، وراح يستشير فيها الأمة العربية، لعلها تسمع نداءه، فتأثر لهزيمتها وتحرر قدسها، وذلك في إطار العاطفة الغاضبة، والأحاسيس المشتعلة التي فجرتها هزيمة حزيران، يقول (51)

اغضب وفجر في حنايا الصدر بركان الغضب

اغضب وخض ساح القتال وأنت أمضى من لهب

اغضب وقل قدري على صفحات أيامي كتب

حقي وأفراح الحياة، وكل أمجاد الحقب

في القدس في أرضي الحبيبة في فلسطين العرب

ثالثاً : القدس في الشعر الاجتماعي:

رسم الشعراء صورة لما كان يجري في القدس من أحداث أو مؤتمرات أو حياة اجتماعية تتناول الحياة اليومية، كالحفلات التي كانت تقام للاستقبال والترحيب والوداع، أو تلك التي كانت تخصص لرثاء الشخصيات الهامة والأبطال والشهداء، إلى جانب القصائد التي كانت ترصد عددًا من المؤتمرات المختلفة التي كانت تعقد في القدس، أو تصف الأعياد الدينية والوطنية والاجتماعية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القصائد التي رثى فيها الشعراء بعض الشهداء والأبطال والقادة والشخصيات الهامة قد سيطر عليها البكاء والعويل وتعداد مناقب الفقيد، دون أن تنال القدس فيها اهتمامًا كبيرًا، ومن هذه القصائد قصيدة (مواسم الجراح) لسعيد تيم، التي بكى فيها الشهداء الثلاثة محمد يوسف النجار،وكمال ناصر،وكمال عدوان، بكاء مرًّا(52).

المصادر والمراجع:

- الموسوعة الفلسطينية, مجموعة من الأعضاء المؤلفين, برئاسة الشيخ عبدالوهاب احمد عبد الواسع

- إبراهيم السعافين، نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام 1948ن، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985م.

- إبراهيم طوقان، ديوان إبراهيم طوقان، ط1، مكتبة المحتسب في عمان، ودوار المسيرة في بيروت 1984م.

- احمد حسن القضاة، بشراك يا قدس، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م.

- احمد عقيلان، جرح الآباء، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، دون تاريخ.

- احمد العلمي، أيام دامية في الأقصى، ط1، دار الجليل للنشر، عمان 1983م.

- اسحق موسى الحسيني، مذكرات دجاجة، ط2،دار المعارف بمصر، سلسلة اقرأ، رقم 8، دون تاريخ (صدرت ط1 عام 1943م).

- اسكندر ألخوري البيتجالي، آلام و آمال، الطبعة العصرية، القدس دون تاريخ.

- إميل حبيبي، سداسية الأيام الستة، دار العودة، بيروت دون تاريخ.

- أمين فارس ملحس، أبو مصطف وقصص أخرى، منشورات دائرة الثقافة عمان 1973م.

- براهن الدين العبوشي، إلى متى، مطبيه المعارف بغداد 1972م.

- جبرا إبراهيم جبرا، صيادون في شارع ضيق ترجمة محمد عصفور، ط1، دار الأدب 197م (ظهرت للمرة الأولى باللغة الانجليزية عام 1960) .

- حسن البهيري، الأنهار الظمأى، ط1، مطبعة دار الحياة، دمشق 1982 .

- حسن محمد الربابعة، يتململ،دون مكان لنشر،ودون تاريخ.

- حسن زيد الكيلاني، أطياف واغاريد،دار الرائد، للدعاية والنشر، عمان، 1946

- حنا جاسر، امة وجراح ط2، مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، عمان 1946

- خليل السواحري، مقهى الباشورة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975م.

- داود معلا، الطريق إلى القدس، ط1،دار الفرقان، عمان 1987

- دلال العلمي ألخالدي، الأقصى الجريح، دار الفرقان عمان 1987م.

- راشد حسين،صواريخ دار العودة بيروت 1982.

- سعد الدين العلمي، وثائق الهيئة الإسلامية العليا، القدس، تموز 1967-31 كانون الأول 1984م. دار الطباعة العربية،1985م.

- سلمى الخضراء الجيوسي، العودة من النبع الحالم ط، منشورات دار الأدب، بيروت 1960م.

- سمير جريس، القدس، المخططات الصهيونية الاحتلال والتهويد،ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية سلسلة الدراسات رقم 61 بيروت، 1981 م

- صالح أبو إصبع، فلسطين في الرواية العربية، منظمة الفرقان، عمان 1983م.

- صالح الجبيتاوي، صدى الصحراء، ط1، دار الفرقان، عمان 1983م.

- عبد الجليل عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط1، مكتبة الأقصى، عمان 1980 م.

- عبدالرحمن ياغي، حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت 1981م.

- علي البتيري، لوحات تحت المطر، دون مكان النشر، ودون تاريخ (تاريخ المقدمة 1973م).

- غازي الجمل، دمع البراع، ط1، دار عمار، عمان،1988م.

- فاروق وادي، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1981م.

- كامل الدجاني، غمرة النكبة، ط1، دون مكان النشر، 1971م.

- كامل العسلي، مخطوطات فضائل بيت المقدس، وبيلوغرافيا، ط2، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، وتوزيع دار النشر، عمان 1984م.

– كمال رشيد، شدو الغرباء، طبعة مزيدة ومنقحة، عمان 1984م.

– مأمون جرار قصائد للفجر الآتي، ط1، مكتبة الأقصى، عمان 1981م.

– محمد الشيخ محمود صيام، دعائم الحق، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت،1981م.

– محمد العدناني،العدنانيات، المجلد1،ط1،دار النورس،بيروت 1981م.

– محمد إبراهيم،فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة،دراسات تحليلية ونصوص مختارة محققة،ط1،الكويت،1985م.

– محمود الأفغاني،ديوان الأفغاني،ج1،عمان:مطابع الدستور التجارية، 1982م.

– محمود الروسان،على دروب الكفاح، دون مكان نشر، ودون تاريخ.

– محمود درويش،ديوان محمود درويش،ج1،ط5،دار العودة،بيروت،1997م.

– مطلق عبد الخلق، الرحيل، حيفا، 1938م.

– ناجي علوش، المجموعة الشعرية الكاملة، وزارة الثقافة والإعلام في العراق، بغداد 1979م.

– هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، العودة، بيروت، 1981م.

– وديع البستاني، ديوان الفلسطينيات، دون مكان للنشر، 1946م.

– يوسف الخطيب، العيون الظلماء للنور، المطبعة العمومية، دون مكان نشر 1955م.

– إبراهيم الدباغ، ديوان الطليعة،ج2، ط1،دون مكان نشر،1356هـ

– راشد حسين، صواريخ، دار العودة، بيروت، 1982م.

– رفيقة جمال الحسيني، زهرة من القدس ثائرة، القدس، 1982م.

– روحي الخطيب، تهويد القدس، ج1، ط1، نشر لجنة إنقاذ القدس، 1985م.

– سعيد تيم، المرافئ البعيدة دار العودة، بيروت، 1979م.

– عدنان النحوي، الأراضي المباركة، ط2، المكتبة الإسلامي، بيروت ودمشق، 1981م.

– علي فزاع العواملة، جبرا إبراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي، ط1، دار المهد للنشر والتوزيع، عمان، 1980م.